ملف العدد :

الدور السياسي والثقافي لتركيا في وسط وجنوب قارة أفريقيا

دكتور / مادى ابراهيم كانتى
باحث علوم سياسية - دولة مالى

على الرغم من الثروات الهائلة التي تحوزها القارة الأفريقيــة، إلا أن حســن توظيف تلك الثروات لا يزال يواجه العديد من الإشكاليات والتحديات، خاصــة مــن زاوية دور القوى الإقليمية والدولية في دعم قدرات القارة التنموية في هذا الاتجاه، ورغم العلاقات الأفريقية المتنامية بالدول الغربية الاستعمارية منذ الاستــقــلال، لا تزال أفريقيا تعاني من التخلف الاقتصادي وعدم الاستقرار الأمني والسياسي.

إزاء هذه الوضعية للعلاقات الأفريقية مع القوى الدولية، سعت بعض الدول إلى تغيير معادلة هذه المعادلة، ومن هذه القوى دولة تركيا، التي اتجهت إلى أفريقيــا بسياسة "الكل رابح" في العلاقات التعاونية، ومن ثمّ لقي هذا النهج استحسانا مــن قبل الدول الأفريقية، تم ترجمته في تنامي حجم التبادل التجاري بين الطــرفــيــن التركي والأفريقي، وتعدد مجالات التعاون : سياسيا، وعسكريا ، واقــتــصــاديــا، وثقافيا، ووجود آليات تنظيمية للعلاقات تتمثل في قمّة (تركيا – إفريقيا)، والــتــي انطلقت عام ٢٠٠٨، ويستعد الطرفان لتدشين العشرية الثانية لها في تركيــا عــام ٢٠١٩ .

وحسب الخارجية التركية، فقد أعدت أنقرة في عام ١٩٩٨ خطة الانفتاح على أفريقيا من أجل تحقيق نقلة نوعية على صعيد العلاقات السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية بين تركيا والدول الأفريقية. وفي هذا السياق، أعدت مستشارية التجارة الخارجية في الجمهورية التركية في بداية عام ٢٠٠٣

"استراتيجية تطوير العلاقات الاقتصادية مع الدول الأفريقية" وأعلنت حكومة الجمهورية التركية عام ٢٠٠٥ "عام أفريقيا".

ونالت تركيا بتاريخ ١٢ ابريل ٢٠٠٥ صفة مراقب في الاتحاد الأفريقي، وكلفت سفارتها لدى أديس أبابا بتاريخ ٥ مايو ٢٠٠٥ لتكون سفارة الجمهورية التركية المعتمدة لدى الاتحاد الأفريقي. كما قام الاتحاد الأفريقي بالقرار الذي اتخـذه فـي اجتماع القمة العاشر الذي عقد في أديس أبابا في شهر يناير ٢٠٠٨ بإعلان تركيا شريكا استراتيجيا له.

ومنذ عام ٢٠٠٥ بدأت تركيا سياسة جديدة تجاه أفريقيا والانفتاح عليها سياسياً واقتصادياً وأمنياً، ومازالت تسعى إلى توسيع علاقاتها وتعميقها مع القارة السمراء بأكملها. وعلى مدار العقد الماضي، زار أردوجان عندما كان رئيساً للـوزراء ثـم رئيساً للجمهورية، أفريقيا أكثر من ثلاثين زيارة شملت ٢٣ بلداً أفريقياً، إضافة إلى عقد قمة التعاون التركي – الأفريقي الأولى في إسطنبول عام ٢٠٠٨، والثانية في مالابو عام ٢٠١٠.. وتتطلع تركيا لاستضافة قمة التعاون التركي – الأفريـقـي الثالثة بإسطنبول عام ٢٠١٩(١). ويُعد هذا دليلاً على نظرة تركيا الإستراتيجية إلى أفريقيا، حيث أنها تطور علاقات ثنائية جديدة مع الدول الأفريقية. وعلـى ذلـك وسعت تركيا من وجودها الدبلوماسي في القارة من ١٢ سفارة فقط عـام ٢٠٠٤ إلى ٤٠ سفارة عام ٢٠١٨ وفي عام ٢٠١٢ أسهمت تركيا بـ ٨٠٠ مليـون دولار في برامج المساعدات المقدمـة لأفريقيا(٢). ويتجاوز حجم تجارة تركيا مع أفريقيا نحو ٢٠ مليار دولار، في عام ٢٠١٧، فيما انتقلت وارداتها من أفريقيا من ٣,٣ مليارات دولار عام ٢٠٠٣ إلى ٩,٦ مليارات دولار عام ٢٠١٢. وشملت الواردات مواد كثيرة منها زيوت التشحيم، واللؤلؤ، والأحجار الكريمة، والمواد الكيميائـيـة غير العضوية، والكاكاو(٣). حيث يمكن القول أن تركيا هي واحدة من خـمـسـة اقتصادات ناشئة تمثل أكبر حجم للتجارة مع القارة الأفريقية.

وتنشط "وكالة التنسيق والتعاون التركية" التابعة لمجلس الوزراء التركي حالياً من خلال ٢١ مكتباً لتنسيق البرامج في أفريقيا، تدير من خلالها مشروعات تركز على

التنمية المستدامة.. كما نظمت وزارة التعليم التركية بالتعاون مع وقف المعارف التركي، مؤتمر وزراء التعليم التركي الأفريقي الأول في إسطنبول في أكتوبر ٢٠١٧. وقدمت تركيا منذ عام ١٩٩٢ منحاً دراسية للبكالوريوس والماجستير والدكتوراه لأكثر من ٨ آلاف طالب من أفريقيا.

الدوافع التركية للتحرك تجاه منطقة وسط أفريقيا :

يمثل إقليم وسط أفريقيا منطقةً رئيسية ومهمة في القارة الأفريقية، ويمتد جغرافياً من تشاد شمالاً حتى أنجولا في الجنوب، ومن الجابون غرباً حتى أوغندا شرقاً، ويضم هذا الإقليم ١١ دولة هي: بوروندي، وأفريقيا الوسطى، ورواندا، والكونغو الديمقراطية، وتشاد، والكاميرون، وأنجولا، وغينيا الاستوائية، وأوغندا، والجابون، والكونغو برازافيل. إلا أن تداخل بعض دول الإقليم مع أقاليم أخرى شرق أفريقيا وحوض النيل، جعل الأدبيات السياسية في تعاملها مع إقليم وسط أفريقيا تركز على ثماني دول رئيسية هي: أفريقيا الوسطى، والكونغو الديمقراطية، وتشاد، والكاميرون، وغينيا الاستوائية، والجابون، والكونغو برازافيل، وأنجولا.

وفيما يلي أبرز دوافع التحرك التركي تجاه منطقة وسط أفريقيا (٤) :

- تعد منطقة وسط أفريقيا من المناطق المحورية حديثة الإدراج في اهتمامات وسياسات وتوجهات بعض القوى الإقليمية التي بدأت تهتم بالقارة الأفريقية (مثل إيران وإسرائيل)، علاوة على القوى الدولية (مثل فرنسا والولايات المتحدة والصين).
- تتميز المنطقة بوجود دول محورية تربطها علاقات قوية مع القوى الغربية، وهي دولة تشاد التي ترتبط بعلاقات قوية مع فرنسا، وهذه العلاقات تجعل منها دولة محورية في السياسات الغربية للإقليم، ويتضح هذا الأمر في كون تشاد منصةً للعمليات العسكرية الفرنسية الخارجية في أفريقيا، بفضل وجود القاعدة العسكرية الفرنسية في العاصمة إنجمينا.
- تنبع أهمية وسط أفريقيا أيضاً، من طبيعة الموقع الجغرافي الذي تحتله دول الإقليم بين أقاليم القارة الأربعة، وانعكاس التطورات التي تشهدها دوله على

دول الجوار، مثل التوترات السياسية والأمنية في الكونغو الديمقراطية وأفريقيا الوسطى، وكذلك التهديدات الإرهابية (في الكاميرون وتشاد)، وهو ما يجعـل من دول الإقليم مصدراً للتهديدات المختلفة التي تؤثر علـى دول الـجـوار، وبطبيعة الحال التأثير بشكل أو بآخر على الفرص الاستثمـاريـة فـي دول الجوار.

- تحتوي أراضي الإقليم على ثروات طبيعية ومعدنية ومائية هائلة؛ إذ يتـركـز ٤,٥% من إنتاج النفط في العالم في خليج غينيا، وأصبح من أهم منـاطـق إنتاج النفط في أفريقيا، حيث يبلغ الإنتاج اليومي خمسة ملايين برميل مقابـل ٩,٤ مليون برميل في القارة الأفريقية كلها.
- تسعى بعض دول الإقليم إلى تعديل التشريعات لجذب الاستثمارات الأجنبـيـة مثل: الكاميرون وأنجولا وغينيا الاستوائية وتشاد والجابون.
- يضم الإقليم العديد من الفرص الاستثمارية في قطاعات: الطاقة والبنية التحتية والزراعة والسياحة والفنادق والتعدين والتصنيع الغذائي والصناعات الدوائية.

في ضوء العلاقات المتطورة، مع دول هذه المنطقة، نجد في أنقرة سفارات لدول وسط وجنوب أفريقيا، تمثلت في جمهورية جنوب أفريقيا، وجمهورية الكـونـغـو الديمقراطية، والكاميرون، وأنجولا، والجابون، وزامبيا. وفي هذا السياق بدأت هذه الدول في بناء علاقة ثنائية مع تركيا(٥)، إضافة إلى تزايد نشاط الشركات التركيـة في مجالات مختلفة (ثقافية وأمنية) في الكاميرون وجنوب أفريقيا وجمـهـوريـة الكونغو الديمقراطية وتشاد وأفريقيا الوسطى(٦).

سياسة "الكل رابح" التركية:

«إن سياسة "الكل رابح" التركية – من وجهة نظر تركيا – هي سياسة التمكيـن المتبادلة القائمة على المساواة والشفافية والاستمرارية، فيُسمح للأفارقة بتطويـر قدراتهم الذاتية بوسائل تنسجم مع روح القارة الأفريقية وتقاليدها في القرن الحادي والعشرين. ومن ثمّ ينبغي النظر إلى سياسة "الكل رابح"التركية بوصفها إسهـامـا متواضعا، لكنه مهم من أجل تحقيق هذا الهدف الاستراتيجى(٧)».

الدور الأمني والعسكري:

انطلاقا من أهمية دولوسط وجنوب أفريقيا، قامت تركيا بزيادة ميزانية مساعدات التنمية، وتطوير التعاون العسكري مع هذه الدول. فقد أرسلت تركيا جنودها إلى أفريقيا الوسطى خلال الأزمة، كما أنه في ظل مواجهة دول وسط أفريقيا (تشاد والكاميرون وأفريقيا الوسطى) لظاهرة الإرهاب، قامت تركيا بتدريب أكثر من ألفي عسكري أفريقي في مجال مكافحة الإرهاب، ونشر السلام، والسلامة البحرية، وستقدم القوات التركية الدعم لإعادة تأمين الاستقرار في أفريقيا الوسطى ومالي، ودعم المرحلة السياسية الجديدة فيهما(٨).

جدير بالذكر، فقد تم التوقيع على اتفاقيات في مجال الدفاع بين الكاميرون وتركيا منذ يونيو ٢٠١٤، وتشمل الاتفاقيات العسكرية بين البلدين جوانب التنسيق الفني والتكوين، فضلاً عن التسليح الذي تستفيد منه الكاميرون بشراء أسلحة خفيفة تركية الصنع. من جانبه، قال السفير التركي بالكاميرون "عُمر فاروق دوغان": "إن تركيا تدعم بشدة أمن واستقرار الكاميرون"، لافتًا إلى "تطور العلاقات على مستوى الدفاع والأمن"، مضيفاً "لدينا قناعة بأن السلم في وسط أفريقيا يمر عبر استقرار الكاميرون". وأثنى "دوغان" على دعم بلاده للحرب ضد الإرهاب قائلاً: "إن تركيا التي عانت في السابق من الإرهاب، لا يمكنها أن تترك الكاميرون بمفردها في هذا الشأن(٩)". ومن ثمّ تواصل عدد من الشركات التركية العاملة في مجال الأمن والدفاع اجتماعاتها في ياوندي مع عدد من رؤساء المؤسسات الصناعية العسكرية في الكاميرون، حيث يأتي هذا الملتقى للجنة التعاون لصناعة الدفاع في وقت تخوض فيه الكاميرون حرباً ضد تنظيم "بوكو حرام(١٠)" الإرهابي.

العلاقات على الصعيد الثقافي:

رفعت وكالة التنسيق والتعاون الدولية التركية العاملة في مجال التعليم، والصحة، وغيرها مكاتب تنسيق المشروعات إلى ١٥ مكتباً، وتعمل هذه المكاتب على تنسيق المشروعات التي تجريها تركيا في أفريقيا. ويعمل معهد "يونس إيمرة" على نشر التاريخ والفن واللغة التركية، وإلى جانب المعهد، تنشط مديرية

المساعدات العاجلة في نقل العديد من المساعدات الإنسانية العاجلة والتنموية إلـــى أفريقيا بشكلٍ دوري(١١).

كما دشنت جمعية "جان صويو" للتعاون والتضامن التركية مسجداً يشمل مدرسةً تستوعب ٤٠٠ تلميذ في مدينة كوساري الكاميرونية، بمشاركة عدد من الســـكـــان المحليين. وتستمر الجمعية بتنفيذ مشروعاتها البنيوية المتمثلة في الـــمـــســـاجـــد والمدارس في المناطق التي تنتشر فيها المجتمعات المســـلـــمـــة. تـــهـــدف هـــذه المشروعات إلى تمكين المسلمين من ممارسة عباداتهم بحرية، ورفع المســـتـــوى التعليمي لسكان المنطقة.

كذلك قامت الجمعية ببناء مدراس ومساجـــــد في تشاد لتعليم وتحفيظ القـــرآن الكريم(١٢). كما أنجزت وكالة التعاون والتنسيق "تيكا"، التابعة لرئاسة الحكـــومـــة التركية، ٢٤ مشروعاً في جمهورية تشاد، وذلك منذ عام ٢٠١٣. تغـــطـــي هـــذه المشروعات أنشطة متعلقة بقطاعات الصحة والتعليم والزراعة.

فالوكالة تقوم في البداية، ومن حيث المبدأ، بتكوين فكرة شاملة عن احتياجات البلد المضيف، قبل أن تقرر بشأن المشروعات المزمعة. ومن أبرز المشـــروعـــات الثقافية التركية في تشاد إنشاء مسلخ في المنطقة بتكلفة تقدّر بـــ ٧٠ مـــلـــيـــون دولار، وقد يكون أكبر مسلخٍ في المنطقة سواءً من حيث الطاقة الإنتاجية أو القدرة التشغيلية، إضافة إلى إنشاء مركز إسلامي بقيمة ٣٠ مليون دولار، ومتنزه ترفيهي بتكلفة تقدّر بـــ ١,٥ مليون دولار. خلال عام ٢٠١١ تم بناء مدرسة تركية، تلتها مدرسة أخرى إعدادية ومعهد بطاقة استيعاب تتجاوز الألف تلميذ. فتحت الوكـــالـــة التركية للتعاون والتنسيق "تيكا" في ٢٠١٣ مكتباً لها بالعاصمة نجاميـــنـــا، وكـــان بمثابة همزة الوصل التي مكّنت تشاد من الحصول على مساعدات إنسانية تجاوزت الـــ ٦٠ مليون دولار، وفقاً للمصدر نفسه(١٣) .

أدوات تنفيذ السياسات التركية:

١. وكالة التعاون والتنسيق التركية "تيكا": فتحت ١٦ مكتباً في أفريقيا، وتنفذ مئات المشروعات في جميع أنحاء القارة من حفر الآبار وفتح العيادات الطبيـــة إلـــى

تدريب المزارعين وترميم المواقع التاريخية، وهناك أيضاً عشرات المنظمات غير الحكومية التركية ومنظمات الإغاثة النشطة في مساعدة المحتاجين.

٢. الخطوط الجوية : تُسيّر رحلات إلى ٤٠ نقطة في أكثر من ٣٣ بلداً أفريقيًا(١٤). حيث تعد أرخص خطوط في الساحة الأفريقية.

٣. المنحة الدراسية التركية: حيث يدرس في تركيا أكثر من ٥٠٠٠ طالب وطالبة من دول أفريقية بمنح دراسية كاملة.

٤. شركة "تورماكس" التركية: تقوم بإنتاج منشآت متنقلة للاستخدام المدني والعسكري. نصبت المستشفى الميداني في معسكر الأمم المتحدة في منطقة بريا بجمهورية أفريقيا الوسطى. تماثل سعة المستشفى الميداني فيما يتعلق بتقديم الكشف الطبي والخدمات الجراحية سعة المشافي العادية، ويضم ٢٠ سريراً، ووحدة عناية مركزة(١٥).

٥. تشجع تركيا الشركات والجامعات والمنظمات غير الحكومية ومراكز البحوث ووكالات السياحة والمواطنين العاديين على الانخراط في علاقات تعاون بين أفريقيا وتركيا.

٦. يبحث العديد من رؤساء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة عن فرص جديدة في أفريقيا، في حين أن البعض منهم هو جزء من القاعدة الانتخابية لحزب العدالة والتنمية، وتم العثور على هذه الجهات أيضاً كمحرك للوجود التركي في أفريقيا، الذي يعمل على تشجيع الإسلام والمحافظة الاجتماعية القائمة في الدول(١٦).

انعكاسات سياسات تركيا في وسط وجنوب قارة أفريقيا على المصالح العربية:

يبدو أن التوجهات الجديدة لكل من تركيا وإيران وبعض دول الخليج إزاء أفريقيا في هذه الفترة أبرزت تنافساً حقيقياً بين هذه الدول. ويمكن إدراك ذلك في الأزمات التي تمر بها بعض الدول الأفريقية – حالة جنوب ووسط أفريقيا (أفريقيا الوسطى والكاميرون وتشاد والكونغو في الوسط، وزيمبابوي وجنوب أفريقيا في الجنوب)، حيث قامت تركيا ببناء علاقات جديدة ثقافياً وسياسياً وحتى أمنياً مع هذه الدول،

وقد رحبت هذه الدول الأفريقية بهذه الخبرات الجديدة مع تركيا، التي لــم تــكــن موجودة في الساحة الأفريقية. والجدير بالذكر أن أغلب الدول الأفريقية وشعوبها لا تستطيع أن تفرق بين الدول العربية والدول الإسلامية غير العربية، ومن ثمّ تنتهز تركيا هذه الفرصة لتدخل في هذه البلاد عن طريق الإسلام، من حيث بناء المساجد والمدارس لتعليم الإسلام باللغة العربية، إضافة إلى المنح الدراسية التي توفــرهــا تركيا للطلاب الذين يذهبون إليها لتعليم الدين باللغة العربية وبجانبه تعليم اللـــغـــة التركية.

فالثقافة التركية بدأت تنتشر في وسط أفريقيا من خلال الثقافة الإسلامية، كمـــا انتشرت في غرب وشرق أفريقيا. أما الجنوب، فوجود تركيا ثقافياً أو سياسياً لــم يسد حتى الآن بسبب قلة المسلمين في هذه المنطقة.

المراجع

(1) https://www.dailysabah.com/arabic/turkey/2016/03/01/turkeys-strategic-depth-in-africa
(2) http://www.turkpress.co/node/30500
(3) http://www.aljazeera.net/encyclopedia/economy/2016/3/13/
(4) https://www.dailysabah.com/arabic/turkey/2016/03/01/turkeys-strategic-depth-in-africa
(5) http://www.turkpress.co/node/27333
(٦) إبراهيم كالن، الناطق الرسمي باسم الرئاسة التركية http://www.turkpress.co/node/30500.
(7) https://www.ihh.org.tr/ar/news/turkey-carries-hope-to-central-africa-2378
(8) http://www.turkpress.co/node/3694
(9) https://medium.com/thenewkhalij/
(١٠) المسلمون في الكاميرون يشكلون أقلية دون الـ ٢٠% من السكان، في بلد يفوق تعداده الـ ٢٢ مليون نسمة، وكذلك في أغلب دول وسط وجنوب أفريقيا المسلمون أقلية.
(11) https://www.dailysabah.com/arabic/africa/2016/01/10/turkish-foundation-builds-mosque-and-school-for-muslim-minority-in-cameroon
(12) http://www.turkey-post.net/p-64075/
(13) http://www.mfa.gov.tr/turkey-africa-relations.en.mfa
(١٤) أي أكثر من جميع شركات الطيران الدولية في العالم.
(15) http://www.turkey-post.net/p-164346/
(16) https://afriquedecryptages.wordpress.com/2014/04/15/la-politique-etrangere-turque-en-afrique-entre-diplomatie-et-acteurs-prives/